التحدث بالنعمة شكر

وقول سليمان عليه السلام علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء هو الأصل في ذكر العلماء مناقبهم
في كتبهم وهذا مأخوذ من قوله تعالى وأما بنعمة ربك فحدث ومن قوله صلى الله عليه وسلم
التحدث بنعمة الله شكر وتركها كفر فقال تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن
عذابي لشديد. وعن سيدنا عمر رضي الله عنه على المنبر فقال الحمد لله الذي صيرني ليس
فوقي أحد ثم نزل فقيل له في ذلك فقال إنما فعلت ذلك إظهارا للشكر. وعن سفيان
الثوري من لم يتحدث بنعمة الله فقد عرضها للزوال والحق في ذلك التفصيل وهو أن من
خاف من التحدث بالنعمة وإظهارها الرياء فعدم التحدث بها وعدم إظهارها أولى ومن لم
يخف ذلك فالتحدث بها وإظهارها أولى. أي وفي الشفا أنه أحمد المحمودين وأحمد الحامدين
ويوم القيمة يحمده الأولون والآخرون بشفاعته لهم فتحقق أن يسمى أحمد ومحمدا وتقدم
أن هذا يوافق ما تقدم عن الهدي أن أحمد مأخوذ من التفضيل الواقع على المفعول وقد
جاء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس
على قدمي وأنا العاقب الذي ليس بعدي نبي وجعلت أمتي خير الأمم. قال البيضاوي
وفي التسمية بالأسماء العربية تنويه إلى تعظيم المسمى هذا كما ثبت في رواية لما أسري
بي إلى السماء قربني ربي حتى كان بيني وبينه كقاب قوسين أو أدنى فقال لي قد جعلت
أمتك آخر الأمم لا تفضح الأمم عندهم أي يوقفهم على أخبارهم ولا أفضحهم عند الأمم
أي لتأخرها عنهم وعليه فالضمير في ذنبي يعود إليه صلى الله عليه وسلم وذكر بعضهم أن ذنبي
تقدم في الآية عبارة عن تقريبه تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم فالضمير في ذنبي إلى آخره يعود
على الله تعالى. وفي رواية نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيمة
المقضي لهم قبل الخلائق وفي رواية نحن آخر الأمم وأول من يحاسب تفرج لنا الأمم
عن طريقنا فنمضي غرا محجلين من آثار الطهور وفي رواية من آثار الوضوء فتقول الأمم كادت
هذه الأمة أن تكون أنبياء كلها هذا وفي رواية غرا من أثر السجود محجلين من أثر
الوضوء. وفي رواية فضلت على الأنبياء بست أي ولا مخالفة بين ذكر الخمس أولا
وبين ذكر الست هنا لأنه يجوز أن يكون اطلع أولا على بعض ما خص به ثم اطلع على
الباقي هذا على اعتبار مفهوم العدد ثم أشار إلى بيان الست بقوله أعطيت جوامع الكلم
ونصرت بالرعب وأحلت لي الغنائم وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا وأرسلت إلى الخلق
كافة والخلق يشمل الإنس والجن والملك والحيوانات والنبات والحجر. قال السيوطي
وهذا القول أي إرساله للملائكة رجحته في كتاب الخصائص وقد رجحه قبلي الشيخ تقي الدين

رسالته صلى الله عليه وسلم إلى الخلق كافة

السبكي

السبكي وزاد أنه مرسل لجميع الأنبياء والأمم السابقة من لدن آدم إلى قيام الساعة ورجحه
أيضا البارزي وزاد أنه مرسل إلى جميع الحيوانات والجمادات وأزيد على ذلك أنه أرسل
إلى نفسه وذهب جمع إلى أنه لم يرسل للملائكة منهم الحافظ العراقي في نكته على ابن الصلاح
والجلال المحلي في شرح جمع الجوامع وحكيت عليه في شرح التقريب وحكى الفخر الرازي
في تفسيره والبرهان النسفي في تفسيره نقل الإجماع هذا كلامه وبعد الثاني أفتى
والد شيخنا الرملي وعليه فيكون قوله صلى الله عليه وسلم أرسلت للخلق كافة وقوله
تعالى ليكون للعالمين نذيرا من العام المخصوص أو الذي أريد به الخصوص ولا يشكل
عليه حديث سلمان إذا كان الرجل في أرض وأقام الصلاة صلى خلفه من الملائكة ما لا
يرى طرفاه يركعون بركوعه ويسجدون بسجوده لأنه يجوز أن لا يكون ذلك صادرا عن
بعثته صلى الله عليه وسلم إليهم ولا يشكل بعثت إلى الأحمر والأسود لما تقدم أن المراد
بذلك العرب والعجم وفي الشفا وقيل الأحمر الإنس والأسود الجان واستدل للقول الأول
القائل بأنه أرسل للملائكة بقوله تعالى ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك
نجزيه جهنم فهي إنذار للملائكة على لسانه صلى الله عليه وسلم في القرآن الذي أنزل
عليه فثبت به رسالته صلى الله عليه وسلم إليهم ودعوى منازع فيها هي غير
مسموعة ثم رأيت الجلال السيوطي ذكر هذا الاستدلال وهو واضح وذكر استدلالا
أيضا وهي لا تثبت المدعى الذي هو أن الملائكة يكلفون بشرعه صلى الله عليه وسلم كما لا يخفى
على من رزق نوع فهم بالوقوف عليها فعلم أنه صلى الله عليه وسلم مرسل لجميع الأنبياء وأممهم
على تقدير وجوده في زمنهم لأن الله تعالى أخذ عليهم وعلى أممهم الميثاق على الإيمان به
صلى الله عليه وسلم ونصرته مع بقائهم على نبوتهم ورسالتهم إلى أممهم فنبوته صلى الله عليه وسلم
ورسالته أعم وأشمل وتكون شريعته في تلك الأوقات بالنسبة إلى أولئك الأمم ما جاءت
به أنبياؤهم لأن الأحكام والشرائع تختلف باختلاف الأشخاص والأوقات قال السبكي
أي فجميع الأنبياء وأممهم من جملة أمته صلى الله عليه وسلم فقوله صلى الله عليه وسلم
لعمر بن الخطاب والذي نفسي بيده لو أن موسى عليه السلام كان حيا ما وسعه إلا أن
يتبعني واضح أصرح وفيه عن عبد الله بن ثابت قال جاء عمر رضي الله عنه إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إني مررت بأخ لي من قريظة فكتب لي جوامع من التوراة
ألا أعرضها عليك فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر رضينا بالله ربا وبالإسلام
دينا وبمحمد رسولا فسري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال والذي نفس محمد بيده لو

Copyright © King Saud University